

تَوَاتُيْعُ رَمَضَانَ

تأليف

أ.د. موسى إسماعيل

كلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر

سلسلة الدروس الرضائية

توابع رمضان

تأليف

أ.د. موسى إسماعيل

كلية العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر

دار الأفتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1442 هـ . 2021 م

رقم الإيداع: العدد 101 - 2021
ر.د.م.ك: 2 - 56 - 656 - 9931 - 978

دار الأوتار

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع جلولي العززي رقم 01

الزاوية بني تاملو البلدية

هاتف: 025 24 66 04 فاكس: 025 24 65 84

هاتف نقال: 0671. 61. 73. 13

e-mail: darelitkan@gmail.com

مُتَلَمِّمَاتُ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فهذا آخر كتاب في السلسلة، تناولت
فيه توديع رمضان الكريم، وبيّنت من خلاله علامات
قبول الصيام.

والصائم بين الرجاء والخوف، رجاء قبول عمله،
وخوفه من رده، ولذلك مدح الله تعالى المؤمنين فقال:
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة السجدة: 13]، وقال:
﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [سورة الإسراء: 57].

أمّا الذي ينقضي عليه الشهر ولا يبالي هل قبل
منه أو لم يقبل، ويستتهين بالأمر ويُسَوِّفُ نفسه بالعمل،

ويرجو القبول بطول الأمل، ويطمع في النجاة وهو غارق في النوم والكسل، فهيهات هيهات!!.

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۗ﴾ [سورة ص: 28].

وكان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر، فيقال له: إنه يوم فرح وسرور، فيقول: «صدقتم، ولكنني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملاً، فلا أدري أيقبله مني أم لا؟».

أسأل الله تعالى أن يتقبل مِنَّا جميعاً الصيام والقيام وسائر أعمالنا، وأن يتجاوز عَنَّا، وأن يعيد علينا شهر رمضان أعواماً عديدة وأزمنة مديدة، ونحن في خير وأمن وإيمان وعافية وأحسن حال.

✍️ الدكتور موسى إسماعيل

عنوان الدرس

توديع رمضان

الهدف من الدرس: الحث على محاسبة النفس على ما قدمت في شهر رمضان.

تمهيد.

ها نحن نودع شهر رمضان الكريم وقد كنا بالأمس القريب نعد الأيام والليالي لاستقباله كضيف عزيز كريم، ولا ندري إذا كنا أكرمنا وفادته وأحسننا ضيافته واستقبلناه أحسن استقبال واستمتعنا بلقائه أم لا، وحسن الضيافة من شيم المؤمنين، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»⁽¹⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (3/141 رقم: 6018)، ومسلم (1/49 رقم: 47).

نودعه وقد أحبيناه في الله من أعماق قلوبنا،
وآثرناه على شهوات أنفسنا وملاذ دنيانا، وبوداعه نفقد
تلك اللذة والحلاوة التي عشناها وألفناها طيلة شهر
كامل، والمحجوب لا بُدَّ وأن نفارقه شئنا أو أبينا، وصدق
جبريل عليه السلام حين قال للنبي ﷺ: «أَحْبَبُ مَنْ
شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ»⁽¹⁾.

نودعه وقد همَّ بالإقلاع، ليكون إِمَّا شاهدا لنا أو
علينا.

نودعه وبوداعه مضى شهر من أعمارنا لا ندري
أُمَّلَّاتُ فِيهِ صِحَائِفْنَا خَيْرًا وَأَجُورًا أَمْ سَطِرَّتْ فِيهِ خَطَايَا
وَأُوزَارًا؟

(1) حسن. أخرجه الطبراني في الأوسط (4/306 رقم: 4278)، وابو
نعيم في الحلية (3/253)، والبيهقي في شعب الإيمان (13/125)
رقم: 10058) عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وحسنه المنذري في
الترغيب والترهيب (1/243 رقم: 924)، والهيثمى في مجمع
الزوائد (10/219).

نودعه على أمل أن نلقاه في العام المقبل، ولا
ندري أنعيش إلى قابل فتحيى فيه قلوبنا من جديد أم
يعود ليجدنا وقد صرنا من سكان القبور.

وما أصدق الشاعر حين قال⁽¹⁾:

مَضَى رَمَضانُ مَحْمُودًا وَأَوْفَى عَليْنَا الفِطْرُ يَقدُمُهُ السُّرُورُ
وَفِي مَرِّ الشُّهُورِ لَنَا فَنَاءٌ وَنَحْنُ نُحِبُّ أَنْ تَفْنَى الشُّهُورُ

هل قُبِلَ مِنَّا الصيام؟

ختمنا شهر رمضان والسنة الجميع تلهج بالشكر
والحمد لله رب العالمين على إتمام الصيام، والأفواه تُلحُّ
في الدعاء لله تعالى أن يقبل الصلاة والصيام والقيام؛
والواجب علينا أن نسأل أنفسنا هذه الأسئلة المهمة:

- هل قُبِلَتْ أعمالنا أو رُدَّتْ علينا؟

(1) انظر ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (2/235).

- وهل غُفِرَتْ ذُنُوبُنَا أَوْ تَرَاكَمَتْ عَلَيْنَا؟

- وهل اغتَمْنَا رَمَضَانَ وَأَحْسَنَّا فِيهِ الْعَمَلَ أَوْ قَصَّرْنَا

وَفَرَطْنَا؟

والواجب علينا أن نجيب عن كل هذه الأسئلة،
وأن نحاسب أنفسنا ماذا قدمنا وماذا عملنا قبل أن يأتي
يوم الحساب، وأن نبادر إلى التوبة قبل أن يحق علينا
العذاب، كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:
«حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ
تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى
مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾» (1) (2).

(1) سورة الحاقة: 18.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (96/7 رقم: 34459)، وأحمد في الزهد
(ص: 99 رقم: 633)، وابن المبارك في الزهد (1/103 رقم:
306)، وأبو نعيم في الحلية (1/52)، وابن أبي الدنيا في
محاسبة النفس (ص: 22 رقم: 2)، والآجري في أدب النفوس
(ص: 269 رقم: 17)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (44/314).

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: «وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا، ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى، ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم، حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب»⁽¹⁾.

إننا كثيرا ما نقرأ في سيرة سلفنا الصالح رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا دخل شهر رمضان جدوا في العبادات واجتهدوا في الطاعات واغتنموا أوقاتهم في اكتساب الحسنات، وهم مع ذلك خائفون ووجلون أن ترد عليهم أعمالهم وأن لا تقبل منهم، ويدعون الله ستة أشهر بعد رمضان أن يقبل الله منهم.

(1) إحياء علوم الدين (4/521).

وقد سألت عائشة رضي الله عنها رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عن قول
الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
رَاجِعُونَ ﴾ (60) ⁽¹⁾، فقالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا
آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾، أَهْوَىٰ الَّذِي يَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ
وَيَسْرِقُ؟ قَالَ: يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ
وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ» ⁽²⁾.

وفي هذا المعنى يقول أبو حامد الغزالي رحمته الله:
«فقد كان الناس في الأعصار الأوّل يواظبون على
العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم
راجعون، يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار

(1) سورة المؤمنون: 60.

(2) حسن. أخرجه أحمد (42/156 رقم: 25263)، والترمذي
(5/327 رقم: 3175)، وابن ماجه (2/1404 رقم: 4198)،
والحاكم (2/427 رقم: 3486) وصححه ووافقه الذهبي،
والبيهقي في شعب الإيمان (2/213 رقم: 747).

في طاعة الله، يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات.

وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى، زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته، كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون، فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم»⁽¹⁾.

وقد أحسن أبو عثمان الجيزي رحمته الله لما قال: «مِنْ عَلَامَةِ السَّعَادَةِ أَنْ تُطِيعَ وَتَخَافَ أَنْ لَا تُقْبَلَ، وَمِنْ عَلَامَةِ الشَّقَاءِ أَنْ تَعْصِيَ وَتَرْجُو أَنْ تَنْجُو»⁽²⁾.

(1) انظر إحياء علوم الدين (386/3 - 387).

(2) انظر فتح الباري (301/11).

ومن حكم ومواعظ يحيى بن معاذ الرازي
 بِرَحْمَةِ اللَّهِ قَوْلُهُ: «كَيْفَ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، إِنْ
 عَمِلَ سَيِّئَةً خَافَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهَا، وَإِنْ عَمِلَ حَسَنَةً خَافَ
 أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ إِمَّا مُسِيئٌ وَإِمَّا مُحْسِنٌ»⁽¹⁾.

هل انتفعنا بالصيام؟

أُمِرْنَا بِالصِّيَامِ فَصِمْنَا، وَأُمِرْنَا بِالْقِيَامِ فَقِمْنَا، فَهَلْ
 اسْتَفَدْنَا مِنْ صِيَامِنَا فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ أَوْ
 تَرَانَا نَسِينَا وَغَفَلْنَا وَعَدْنَا إِلَى تَقْصِيرِنَا وَتَفْرِيطِنَا؟

لَقَدْ سَمِعْنَا وَقَرَأْنَا مَرَارًا فِي بَدَايَةِ رَمَضَانَ قَوْلَ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ»⁽²⁾،

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (256/2 رقم: 823).
 (2) حسن. أخرجه أحمد (123/15 رقم: 9224)، والبيهقي في
 شعب الإيمان (193/5 رقم: 3293) وحسنه المنذري في
 الترغيب والترهيب (83/2)، والهيثمي في مجمع الزوائد
 (418/3).

أي وقاية من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء،
 ووقاية في الآخرة من النار، فهل وقينا أنفسنا من
 شرورها وأضرارها؟ وهل وقينا أنفسنا من الهلاك
 وأنقذناها من عذاب النار، كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا
 مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
 يُؤْمَرُونَ﴾ (6) (1).

وسمعنا قول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ
 وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ
 وَشَرَابَهُ» (2).

(1) سورة طه: 6.

(2) أخرجه أحمد (16/332 رقم: 10562)، والبخاري (4/139 رقم:

1903)، وأبو داود (2/307 رقم: 2362)، والترمذي (3/78

رقم: 707)، وابن ماجه (1/539 رقم: 1689) عن أبي هريرة

رضي الله عنه.

فهل أصلحنا عيوبنا وقومنا اعوجاجنا وضبطننا سلوكنا وتصرفاتنا؟ وهل تركنا ما حرمه الله علينا من أكل أموال الناس ظلماً وعدواناً وهتك أعراضهم وسفك دمائهم.

هل انتفعنا بالتوبة؟

إننا أعلننا عند دخول الشهر توبتنا إلى الله ورجوعنا إليه وإقبالنا عليه، فهل كنا صادقين في توبتنا ومخلصين في استغفارنا؟ وهل نحن بعد انقضاء الشهر باقون على ذلك العهد لم نغير ولم نبدل، أو ترانا الآن رجعنا إلى عاداتنا القبيحة من التفريط في الواجبات وتضييع الأوقات في الشهوات وولينا وجوهنا شطر مجالس اللهو والعبث.

إن المغفرة التي وعد الله بها عباده الصائمين إنما تحصل لمن استقام على التوبة إلى آخر عمره ولم يصر على معصية ربه، فيتدارك ما فرط من أمره وما قَصُر في طاعته ولا يحدث نفسه بالعودة إلى ذنوبه.

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (82) (1) .

إنه وعد من الله تعالى بالمغفرة والعتو لمن تاب إليه توبة نصوحا لا غش فيها وآمن به وأدى فرائضه واجتنب محارمه ثم اهتدى بأن ثبت واستقام على التوبة وداوم على الإنابة ولم ينكث .

وتكرر هذا المعنى كثيرا في القرآن الكريم، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (14) (2) .

وقال : ﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

(1) سورة طه: 82.

(2) سورة الأحقاف: 13 . 14 .

الرَّحِيمِ ﴿٥٣﴾ وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
 الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن
 رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا
 تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿١﴾ .

والأعمال بخواتيمها، فمن تاب وأصلح أعماله
 فإن الله يتوب عليه ويرحمه، ومن عاد إلى ما كان عليه
 من الطيش واتباع الهوى أخذ بما مضى من سيئاته وما
 بقي ثم تكون النار مثواه ومأواه.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا
 يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ
 الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٢﴾ .

(1) سورة الزمر: 53 - 55.

(2) سورة الأنفال: 38.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْوَأَخِذْ بِمَا عَمَلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ»⁽¹⁾.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ»⁽²⁾.

وعن عبد الصمد بن يزيد مردويه قال: سمعت الفضيل بن عياض رحمته الله يقول: «مَنْ أَحْسَنَ فَوَيْمًا

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (337/3 رقم: 6921)، ومسلم (76/1 رقم: 120).

(2) حسن. أخرجه الطبراني في الأوسط (46/7 رقم: 6806)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (373/65)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (53/4 رقم: 4775)، والهيثمي في مجمع الزوائد (334/10).

بَقِيَّ عُفْرَ لَهُ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أَخَذَ
بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ، ثُمَّ بَكَى الْفُضَيْلُ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ»⁽¹⁾.

هل انتفعنا بالقرآن؟

قرأنا كتاب الله واستمعنا إليه وختمنا القرآن
المرّة والمرات العديدة، وتلّيت علينا الآيات في صلاة
التراويح، فما الذي استفدنا منه؟

هل انتفعنا به في زيادة الإيمان وقوته، كما قال
تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ
زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿124﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿125﴾﴾⁽²⁾.

(1) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (113/8)، وابن عساكر في
تاريخ دمشق الكبير واللفظ له (407/48).
(2) سورة التوبة: 124 - 125.

وهل انتفعنا به في زيادة الخوف من الله تعالى،
كما قال سبحانه: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاِلٰهٌُ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَنْقُوتُ ﴾ (1).

وهل انتفعنا به في زيادة العمل الصالح، كما قال
تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (2).

قرأنا وسمعنا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ (90) (3) ، فهل تركنا شرب الخمر وتعاطي
المخدر ولعب القمار.

(1) سورة الأنعام: 51.

(2) سورة الفرقان: 73.

(3) سورة المائدة: 90.

وقرأنا وسمعنا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِحَبْنُوا

كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴿١﴾⁽¹⁾، فهل تركنا سوء الظن والتجسس والغيبة والنميمة.

وقرأنا وسمعنا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا

الزَّوْجَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾⁽²⁾، فهل تركنا الزنا.

وقرأنا وسمعنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴿٣﴾⁽³⁾، فهل تركنا الربا والرشوة والسرقة والغش والتطفيف في الكيل والميزان.

(1) سورة الحجرات: 12.

(2) سورة الإسراء: 32.

(3) سورة البقرة: 188.

وقرأنا وسمعنا قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (36) (1)، فهل أحسنا إلى الوالدين وصلنا الرحم وسعينا في رعاية اليتامى وأشفقنا على الأرامل والمساكين والفقراء وأحسنا إلى العجيران وكففنا الأذى عنهم.

وقرأنا وسمعنا قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (119) (2)، فهل اتقينا الله وصدقنا في إيماننا وطاعتنا وحديثنا.

(1) سورة النساء: 36.

(2) سورة التوبة: 119.

هل انتفعنا بالصلاة؟

واظبنا على أداء الصلاة في أوقاتها مع الجماعة،
فهل خشعت قلوبنا فيها واطمأنت بها، وهل انتفعنا
بها في توثيق صلتنا بالله.

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
دَائِمُونَ﴾⁽¹⁾، فهل نحن مداومون على أداء على
الصلاة ومحافظون عليها في أوقاتها.

ويقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ﴾⁽²⁾، فهل نهتنا صلاتنا عن الفحشاء والمنكر.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ

(1) سورة المعارج: 23.

(2) سورة العنكبوت: 45.

إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أَوْلِيَّكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ (1)،
فهل نحن مواظبون على ترمير المساجد وحضور
الجماعات، أو صارت مساجدنا خالية فارغة بعد أن
كانت عامرة مزدحمة.

هل انتفعنا بما سمعنا من مواظب؟

لقد حضرنا الكثير من الدروس واستمعنا إلى
الكثير من الأئمة والخطباء وهم يعظون ويرشدون
ويذكرون بآيات القرآن وأحاديث المصطفى عليه
الصلاة والسلام، فهل انتفعنا بهذه المواظب واتبعنا ما
جاء فيها من نصائح نافعة وإرشادات سديدة كما قال
تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿١٨﴾
أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ هَدَىٰ لَهُمُ اللَّهُ وَأَوْلِيَّكَ هُمْ وَأُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ (2).

(1) سورة التوبة: 18.

(2) سورة الزمر: 17 - 18.

وهل أثرت فينا وحسنت سلوكنا وأخلاقنا
ومعاملاتنا، أو لم يكن لها أثر في قلوبنا ولا سلوكنا
ولم تغير شيئاً من واقعنا.

خاتمة.

نختم هذا الدرس بهذا الأبيات الحسنة⁽¹⁾:

أَلَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ الْمُجِيبِ بِقَلْبٍ مِنْ مَعَاصِيهِ مَعِيبِ
أَلَا بَاكِ لِأَيَّامٍ تُقْضَى بِلَا عَمَلٍ وَلَا قَوْلٍ مُصِيبِ
أَلَا بَاكِ عَلَى أَمَدٍ بَعِيدِ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ يَنْدُبُنَا وَيَبْغِي نَفُوسًا لَيْسَ تَأْلَمُ لِلذُّنُوبِ
تُنَادِي لِلتَّرْحُلِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا تُضْغِي إِلَى الدَّاعِي
كَأَنَّ يَقِينَنَا بِالْمَوْتِ شَكٌّ وَنُلْغِي الْحَقَّ بِالْإِنْفِكِ
وَشَهْرُ الصَّوْمِ شَاهِدُهُ عَلَيْنَا بِأَعْمَالِ الْقَبَائِحِ وَالذُّنُوبِ

(1) انظر بستان الواعظين ورياض السامعين (ص: 216).

فِيَا رَبَّاهُ عَفْوًا مِنْكَ وَالطُّفَّ بِفَضْلِكَ لِلْمُحَيَّرِ وَالْكَتِيبِ
وَهَذَا الصَّوْمُ لَا تَجْعَلْهُ يُصَيِّرُنَا إِلَى نَارِ اللَّهَيْبِ
سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتْ عَلَيْهِ قَبُولٍ أَوْ شَمَالٍ أَوْ جَنُوبِ

دعاء.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت
أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان،
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف
رحيم.

ربنا كما مننت علينا بالستر والعافية في حال
الذنب والمعصية، لا تحرمنا المغفرة والرحمة في حال
التضرع والاستكانة.

ربنا إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا،
وتجمع بها أمرنا، وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من
كل سوء.

عنوان الدرس

علامات قبول الصيام

الهدف من الدرس: تقييم ما تم تقديمه من أعمال
خلال رمضان.

تمهيد:

ذكر الله تعالى الحكمة من الصوم فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1).

وأخبر أنه يتقبل من المتقين فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (2).

(1) سورة البقرة: 183.

(2) سورة المائدة: 27.

وأخبر أنّ المتقين هم أهل الجنة فقال: ﴿إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (45) (1).

قال قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ
قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، قَالَتْ: طُوبَى لِلْمُتَّقِينَ» (2).

وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «عُرْسُ الْمُتَّقِينَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ» (3).

ليس كل من عمل حسنة تُقبل منه.

قد يعمل المرء أعمالاً كثيرة من الخير، ولا تنفعه
في شيء، فليس كل ما يُعمل يُقبل، فالصلاة لا تُقبل
ممن لا ينتهي عن الفحشاء والمنكر.

(1) سورة الحجر: 45.

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص: 63 رقم: 37)،
والطبري في التفسير (14/19).

(3) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (2/379).

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْنَ الصَّلَاةِ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ﴾ (1).

وفي الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
«مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَمْ
يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا» (2).

ولا تُقْبَلُ مِمَّنْ لَمْ يَطَهَّرْ قَلْبَهُ مِنَ الْغُلِّ وَالْحَقْدِ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالْبُغْضِ وَالْكَرَاهِيَةِ لَهُمْ، وَهَجْرَانِهِمْ
وَمَشَاجِرْتِهِمْ وَقَطْعِ الصَّلَاةِ بِهِمْ.

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ:
«ثَلَاثَةٌ لَا تُرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ شِبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ

(1) سورة العنكبوت: 45.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير (311/1) رقم: (971)، وقال الإمام
الهيثمي في مجمع الزوائد (258/2): «رجاله رجال الصحيح».

قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا
سَاحِطٌ، وَأَخْوَانٌ مُتَّصِرِمَانِ»⁽¹⁾.

والصّدقة لا تُقبَلُ إذا كانت من المال الحرام،
ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»⁽²⁾.

ولا تُقبَلُ ممّن يتبعها باليمن والأذى، كما قال
تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ
وَالْأَذَى﴾⁽³⁾.

-
- (1) حسن. أخرجه ابن ماجه (103/9 رقم: 8543)، وابن حبان
(53/5 رقم: 1757)، والطبراني في الكبير (449/11 رقم:
12275)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام في مهمات
السنن وقواعد الإسلام (703/2)، وقال الإمام البوصيري في
مصباح الزجاجة (119/1): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».
(2) أخرجه مسلم (703/2 رقم: 1015).
(3) سورة البقرة: 264.

والصّوم لا يُقبَلُ ممّن لا يتورّع من أكل أموال
النّاس بالربا والرّشوة والغشّ والخداع، ولا ممّن لا
يكفّ لسانه عن الغيبة والنّميمة والكذب والزّور، ولا
ممّن لا يسلم النّاس من شرّه وأذاه، كما نبّه على ذلك
الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
صلّى الله عليه وآله: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ
حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»⁽¹⁾.

والحجّ لا يُقبَلُ ممّن لا يجتنب أفعال الإثم من
الرّفث والفسوق والمعاصي والجدال، كما قال تعالى:
﴿فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي
الْحَجِّ﴾⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري (1/415 رقم: 1903).

(2) سورة البقرة: 197.

السعيد من تقبل الله منه الصيام.

السعيد من كان لله تقيا، فتقبل الله صومه وقيامه
وصدقته ودعاءه، والشقي من رُدَّتْ أعماله ولم تُقبل
منه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِيهِ إِلْبَارِهِمْ فِيهَا
زَفِيرٌ وَسَهيقٌ ﴿106﴾ خَلِيدٍ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا
شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿107﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِيهِ الْجَنَّةُ
خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ
مَجْدُوزٍ ﴿108﴾ ﴿1﴾ .

وعن محمد بن يزيد قال: «رَأَيْتُ وَهَيْبَ بْنَ
الْوَرْدِ صَلَّى ذَاتَ يَوْمٍ الْعِيدِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ جَعَلُوا
يَمُرُّونَ بِهِ، فَنظَرَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ زَفَرَ، ثُمَّ قَالَ: لَيْنَ كَانَ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمُ أَصْبَحُوا مُسْتَيْقِنِينَ أَنَّهُ قَدْ تَقَبَّلَ مِنْهُمْ شَهْرَهُمْ هَذَا،

(1) سورة هود: 106 - 108.

لَكَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُصْبِحُوا مَسْأغِيلَ بِأَدَاءِ الشُّكْرِ،
وَلَئِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُصْبِحُوا
أَشْغَلَ وَأَشْغَلَ»⁽¹⁾.

قال أبو الليث السمرقندي رحمته الله: «مَنْ عَمِلَ
الْحَسَنَةَ يَحْتَاجُ إِلَى خَوْفِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ
يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ؟»

أُولَئِكَ: خَوْفُ الْقَبُولِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّمَا
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾.

وَالثَّانِي: خَوْفُ الرِّيَاءِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽³⁾، الْآيَةَ.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (5/295 رقم: 3451).

(2) سورة المائدة: 27.

(3) سورة البينة: 5.

وَالثَّالِثُ: خَوْفُ التَّسْلِيمِ وَالْحِفْظِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
قَالَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾⁽¹⁾، فَاشْتَرَطَ
الْمَجِيءَ بِهَا إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ.

وَالرَّابِعُ: خَوْفُ الْخِذْلَانِ فِي الطَّاعَةِ، لِأَنَّهُ لَا
يُدْرِي أَنَّهُ هَلْ يُوَفَّقُ لَهَا أَمْ لَا، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا
تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽²⁾ «(3).

وعلى العاقل أن يحاسب نفسه ويتأمل حاله، فإن
وجد في نفسه أوصاف المتقين فليبشر بالقبول، وإن
وجد غير ذلك فليتب إلى الله تعالى وليستغفر من
تقصيره.

قال بعض الحكماء: «العاقل مَنْ يَخَافُ عَلَيَّ
حَسَنَاتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

(1) سورة الأنعام: 160.

(2) سورة الأنعام: 160.

(3) تنبيه الغافلين (ص: 393).

الْمُنْقِيْنَ ﴿٢٧﴾^(١)، وَالْخَاسِرُ مَنْ يَأْمَنُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، لِأَنَّ
 اللَّهُ تَعَالَى قَالَ^(٢): ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
 الْخَاسِرُونَ﴾^(٣).

هنيئاً لمن صام واتقى، هنيئاً لمن رتل القرآن
 وارتنى، هنيئاً لمن قام الليل وهجر النوم واختار ما هو
 أنفع وأبقى، هنيئاً لمن تصدق وأطعم وسقى، هنيئاً
 لمن جاهد نفسه فكان أظهر قلباً وأنقى، هنيئاً لمن ودّع
 رمضان وقد غشيته الرحمة وحلاه الله بلباس التقوى.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي
 آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: «مَنْ هَذَا الْمَقْبُولُ مِنَّا
 فَهَنَيْتُهُ؟ مَنْ هَذَا الْمَحْرُومُ الْمَرْدُودُ فَنَعَزَيْهِ؟ أَيُّهَا الْمَقْبُولُ
 هَنِيئًا هَنِيئًا، أَيُّهَا الْمَحْرُومُ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَكَ»^(٤).

(1) سورة المائدة: 27.

(2) سورة الأعراف: 99.

(3) انظر تفسير السمرقندي حر العلوم (1/384).

(4) أخرجه الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (2/67 رقم: 1612).

وقال أبو بشرٍ مُفَضَّلُ بْنُ لَاحِقٍ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ
أَرْطَاةَ يَخْطُبُ بَعْدَ انْقِضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيَقُولُ: «كَأَنَّ
كَبِدًا لَمْ تَظْمَأْ، وَكَأَنَّ عَيْنًا لَمْ تَسْهَرْ، فَقَدْ ذَهَبَ الظَّمَأُ
وَأُبْقِيَ الْأَجْرُ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمَقْبُولُ مِنَّا فَهَيْئَةً،
وَمَنِ الْمَرْدُودُ مِنَّا فَنَعَزِيهِ؟ فَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَقْبُولُ فَهَيْئًا
هَيْئًا، وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَرْدُودُ فَجَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَكَ؛ قَالَ:
ثُمَّ يَبْكِي وَيُبْكِي»⁽¹⁾.

من علامات قبول الصيام.

من علامة قبول الصيام أن يترك ما كان عليه قبل
رمضان من المعاصي.

ويؤيده قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِيَّ لَغْفَارٍ لِمَن تَابَ
وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾⁽²⁾، أي تاب من ذنبه،

(1) أخرجه أبو بكر الفريابي في الصيام (ص: 94 رقم: 116)، وابن
عساكر في تاريخ دمشق (61/40).

(2) سورة طه: 82.

وأحسن في عمله، ثم اهتدى بأن ثبت على توبته واستمر في طاعة ربه حتى مات على ذلك ولقي ربه وهو عنه راضٍ.

وفي الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ»⁽¹⁾.

وقد قيل لبشر الحافي رحم الله: «إِنَّ قَوْمًا يَجْتَهِدُونَ وَيَتَعَبُدُونَ فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ: بِئْسَ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ لِلَّهِ حَقًّا إِلَّا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنَّ الصَّالِحَ يَتَعَبَّدُ وَيَجْتَهِدُ السَّنَةَ كُلَّهَا»⁽²⁾.

ومن علامته أيضا أن ينشط للعبادة بعد رمضان، ويصله بطاعة أخرى.

(1) حسن. رواه الطبراني في الأوسط (46/7 رقم: 6806)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (202/10).
(2) انظر لطائف المعارف (ص: 222).

وقال أبو الليث السمرقندي رحمته الله: «عَلَامَةٌ الْقَبُولِ أَنْ يُؤَفِّقَهُ لِبَطَاعَةٍ هِيَ أَرْفَعُ مِنْهُ»⁽¹⁾.

وقد قيل: «عَلَامَةٌ قَبُولِ الطَّاعَةِ أَنْ تُوصَلَ بِطَّاعَةٍ بَعْدَهَا، وَعَلَامَةٌ رَدِّهَا أَنْ تُوصَلَ بِمَعْصِيَةٍ»⁽²⁾.

وهو ما أشار إليه النبي صلوات الله عليه كما في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»⁽³⁾.

ومن علامته أيضا أن يستبدل مجالس السوء والشر بمجالس الذكر والخير، ويختار من الرفقة

(1) تنبيه الغافلين (ص: 593).

(2) انظر لطائف المعارف (ص: 64).

(3) أخرجه أحمد (514/38 رقم: 23533)، ومسلم (822/2 رقم:

1164)، وأبو داود (324/2 رقم: 2433)، والترمذي (123/3

رقم: 759)، وابن ماجه (547/1 رقم: 1716).

الصالحة ما تعينه إلى طاعة ربه، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (96) (1).

قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير الآية: «إِي وَاللَّهِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَرَمَ بَنَ حَيَّانَ كَانَ يَقُولُ: مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَزُرُقَهُ مَوَدَّتَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ» (2).

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ،

(1) سورة مريم: 96.

(2) أخرجه الطبري في تفسيره (262/18)، والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (233/6).

فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»⁽¹⁾.

عمل قليل مقبول خير من عمل كثير مردود.

ليست العبرة بكثرة الأعمال، ولكن بالإخلاص فيها والنية الصادقة مع الله، فربَّ عمل قليل مع الصدق والاخلاص، خير من عمل كثير لا يَرَادُ به وجه الله.

فعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «مَا قَلَّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقَلُّ مَا يُتَقَبَلُ؟»⁽²⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (112/2 رقم: 3209)، ومسلم واللفظ له (2030/4 رقم: 2637).

(2) أخرجه ابن عساكر في التوبة (ص: 33 رقم: 13).

وعن عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعْظِمُهُ النَّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النَّيَّةُ»⁽¹⁾.

ويقول نجم الدين الغزي: «والقليل إذا كان مقبولاً عند الله تعالى، لم يكن قليلاً في نفسه، لأن الذي قَبَلَهُ كريم، ومن شأن الكريم أن يرى القليل من غيره كثيراً، وإنَّ عين الرّضى تكثّر قليل المرضي عنه، وتعظّم صغير المقبول منه»⁽²⁾.

والعمل القليل مع الإخلاص والدوام عليه، خير من العمل الكثير من غير إخلاص، وخير من عمل لا مداومة عليه.

قال بعضهم: «القَصْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْقُلُوبِ، أَبْلَغُ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَعْمَالِ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَنَحْوِهِ»⁽³⁾.

(1) انظر قوت القلوب (275/2)، وإحياء علوم الدين (364/4).

(2) حسن التنبيه لما ورد في التشبيه (343/3).

(3) انظر قوت القلوب (275/2).

وهذا ما أشار إليه الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه قَالَ لَهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ»⁽¹⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ»⁽²⁾.

(1) أخرجه الحاكم (341/4 رقم: 7844) وصححه ورده الذهبي، وأبو نعيم في حلية الأولياء (244/1)، والبيهقي في شعب الإيمان (174/9 رقم: 6443)، والديلمي في الفردوس (435/1) رقم: 1772)، وقال العراقي: «إسناده منقطع».

(2) متفق عليه. أخرجه البخاري (112/3 رقم: 5861)، ومسلم (540/1 رقم: 782).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «يَا حَبْدًا نَوْمُ
الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَغْبُنُونَ سَهَرَ الحَمَقَى
وَصِيَامَهُمْ، وَلِمَتَّقَالُ ذَرَّةً مِنْ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينٍ
أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ أَمْثَالِ الجِبَالِ عِبَادَةً مِنْ
المُعْتَرِّينَ»⁽¹⁾.

قال نجم الدين الغزي رحمته الله: «وصدق رضي الله عنه،
فإن نوم الأكياس - وهم الفطناء أولو الأبواب -
وإفطارهم يكون بنية صالحة، ولغرض صحيح، فهما
أفضل من سهر المتكلف وصومه»⁽²⁾.

وقد وصف ابن مسعود رضي الله عنه ما كان عليه
الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم من صدق مع الله، ففازوا بخير

(1) أخرجه أحمد في الزهد (ص: 113 رقم: 738)، وابن أبي الدنيا
في اليقين (ص: 34 رقم: 8)، وأبو نعيم في حلية الأولياء
(17/2).

(2) حسن التنبيه لما ورد في التشبه (345/3).

الدارين، ونالوا أرفع المنزلتين، فقال: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًّا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»⁽¹⁾.

وإنما أدركوا ذلك بصفاء القلوب، وصلاح السريرة، وكمال المعرفة، فكانوا ﷺ أتقى لله قلوبا، وأرق أفئدة، وأنقى سريرة، وأزكى سيرة.

ومن مواضع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «كُونُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا بِالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ لَنْ يُقْبَلَ عَمَلٌ إِلَّا مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ يُتَقَبَلُ؟ كَانُوا بِاللَّهِ عَالِمِينَ وَلِعِبَادِهِ نَاصِحِينَ»⁽²⁾.

(1) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (947/2 رقم: 1810).

(2) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (388/13).

وفي رواية أخرى قَالَ ﷺ: «كُونُوا لِقُبُولِ الْعَمَلِ
أَشَدَّ هَمًّا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا
يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (1) (2).

خوف السلف من عدم قبول الطاعات.

كان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم
بإحسان ﷺ يعملون ويخافون أن لا يقبل الله منهم
العمل.

وأحسن ابن الجوزي في وصفهم بقوله: «ولله
أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها، فهم
يبالغون في كل علم، ويجتهدون في كل عمل،
ويثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن
بعض ذلك، قامت النيات نائبة، وهم لها سابقون،

(1) سورة المائدة: 27.

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية (ص: 39 رقم: 10).

وأكمل أحوالهم إعراضهم عن أعمالهم، فهم
يحتقرونها مع التمام، ويعتذرون من التّقصير، ومنهم
من يزيد على هذا، فيتشاغل بالشكر على التّوفيق
لذلك، ومنهم من لا يرى ما عمل أصلاً، لأنه يرى
نفسه وعمله لسيدته»⁽¹⁾.

وكم من عاملٍ غلبته شهوة نظر الناس إليه، إذا
صلّى أو حجّ أو تلا أو ذكر أحبّ أن يحمده الناس،
وإذا أعطى أعطى بالرياء، ينشط بالنوافل والسنن
ليصرف إليه الأعين ولتثني عليه الألسن، ولكنه يكسل
عنها في الخلوات.

ولذا قال مالك بن دينارٍ رحمته الله: «الْخَوْفُ عَلَى
الْعَمَلِ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ، أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ»⁽²⁾.

(1) صيد الخاطر (ص: 282).

(2) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (377/2).

وكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحرص على القبول من العمل،
يصلون، ويصومون، ويتصدقون، ويجاهدون، ويذكرون،
الله كثيرا، ويخافون أن لا يُتَّعَبَلَ منهم ما عملوه.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (1)،
قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟
قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ
وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ،
﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (2) « (3).

(1) سورة المؤمنون: 60.

(2) سورة المؤمنون: 61.

(3) حسن. أخرجه أحمد (42/156 رقم: 25263)، والترمذي
واللفظ له (5/327 رقم: 3175)، وابن ماجه (2/1404 رقم:
4198)، والحاكم (2/427 رقم: 3486) وصححه ووافقه
الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (2/213 رقم: 747).

قال ابن رجب: «إخواني، المعوّل على القبول لا على الاجتهاد، والاعتبار ببر القلوب لا بعمل الأبدان، رُبَّ قائم حظه من قيامه السهر، كم من قائم محروم، وكم من نائم مرحوم، نام وقلبه ذاكراً، وهذا قام وقلبه فاجر»⁽¹⁾.

ومن أخبارهم رضي الله عنه في ذلك ما جاء عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي عنه قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي نُسِبْتُ إِلَى رَوْثَةٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي حَسَنَةً، وَاحِدَةً مِنْ عَمَلِي»⁽²⁾.

وعن هشام بن يحيى عن أبيه قال: «دَخَلَ سَائِلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ لِابْنِهِ: أَعْطِهِ دِينَارًا فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ ابْنُهُ عَقِيلٌ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ يَا أَبَتَاهُ، فَقَالَ: لَوْ

(1) لطائف المعارف (ص: 192).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/255 رقم: 820).

عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً أَوْ صَدَقَةَ دِرْهِمٍ
لَمْ يَكُنْ غَائِبًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ، تَدْرِي مِمَّنْ
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (27) ﴿(1)﴾ (2).

وقال فضالة بن عبيد رضي الله عنه: «لَأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ
اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (27) ﴿(3)﴾.

وعن ثابت قال: «كَانَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الشَّخِيرِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي صَلَاةَ يَوْمٍ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ

(1) سورة المائدة: 27.

(2) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (146/31).

(3) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (19/2)، وأبو نعيم في
حلية الأولياء (17/2)، وابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية
(ص: 49 رقم: 20).

مِنِّي صَوْمَ يَوْمٍ، اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي حَسَنَةً، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (1).

وقال هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى: «بَكَى عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بُكَاءً شَدِيدًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾» (2).

وقال عبد العزيز بن أبي رَوَادٍ من أتباع التابعين: «أَدْرَكْتُهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا فَعَلُوهُ وَقَعَ عَلَيْهِمُ اللَّهُمَّ أَيُّقْبَلُ مِنْهُمْ أَمْ لَا؟» (3).

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (7/178 رقم: 35121)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (2/759 رقم: 1062)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (2/207).

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (ص: 141 رقم: 179)، والطبري في التفسير (10/212).

(3) انظر لطائف المعارف (ص: 209).

شروط قبول العمل.

لقبول العمل شروط:

1 - الإسلام: فلا يقبل الله عمل الكافر، كما قال

تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (85) (1).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدَعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» (2).

2 - اتباع النبي صلَّى الله عليه وآله: فلا يقبل الله عمل المبتدع،

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (31) (3).

(1) سورة آل عمران: 85.

(2) أخرجه مسلم (4/2087 رقم: 2719).

(3) سورة آل عمران: 31.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ
الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (115) ﴿ (1).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه:
«مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ».

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ
أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (2).

3 - الإخلاص: فلا يقبل الله عمل المرائي، كما

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (110) ﴿ (3).

(1) سورة النساء: 115.

(2) متفق عليه. أخرجه البخاري (597/1 رقم: 2697)، ومسلم
(1343/3 رقم: 1718).

(3) سورة الكهف: 110.

4 - التَّقْوَى: فلا يقبل الله عمل الفاسق الفاجر،

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (1).

خاتمة.

نختم هذا الدرس بهذه المقولة الرائعة والحكمة الطيبة الرائقة، لأبي نُضْرَةَ رحمه الله: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، فَلَمْ يَزِدْ بِهِ خَيْرًا، فَذَاكَ الَّذِي لَمْ يَتَقَبَّلِ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلَهُ ذَلِكَ.

أُولَئِهَا: مَنْ غَزَا ثُمَّ رَجَعَ، فَلَمْ يَزِدْ خَيْرًا، فَذَاكَ آيَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلِ اللَّهُ مِنْهُ.

وَمَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يَزِدْ خَيْرًا، فَذَاكَ آيَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلِ اللَّهُ مِنْهُ.

وَمَنْ حَجَّ فَرَضًا فَلَمْ يَزِدْ خَيْرًا، فَذَاكَ آيَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلِ اللَّهُ مِنْهُ.

(1) سورة المائدة: 27.

وَمَنْ مَرَضَ فَعُوفِي فَلَمْ يَزِدْ خَيْرًا، فَذَاكَ آيَةٌ أَنَّهُ
لَمْ تُكْفَرْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ»⁽¹⁾.

دعاء.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

ربنا تقبل توبتنا، وتجاوز عن خطايانا، وضع عنا
أوزارنا، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت
أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم بنورك اهتدينا، وبفضلك استغينا،
وبنعمتك أصبحنا وأمسينا، هذه ذنوبنا بين يديك،
نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم توفانا مسلمين تائبين، لا مبدلين ولا
مغيرين، ولا ضالين ولا زائعين، غير خزايا ولا نادمين،
ولا فتانين ولا مفتونين، آمين آمين يا رب العالمين، يا
أرحم الراحمين.

(1) انظر تنبيه الغافلين (ص: 593).

عنوان الدرس

ماذا بعد رمضان؟

الهدف من الدرس: مواصلة الطاعة بعد رمضان.

تمهيد.

ها هو شهر رمضان يوشك على الارتحال بعد
أن حلّى بنا، ولا بُدَّ للضيف أن يرتحل، وصدق من
قال (1):

بَقِيْتُ غَدَاةَ النَّوَى حَائِرًا وَقَدْ حَانَ مِمَّنْ أَحِبُّ الرَّحِيلُ
فَلَمْ تَبَقْ لِي دَمْعَةٌ فِي الشُّؤْ نِ إِلَّا غَدَتُ فَوْقَ خَدِّي تَجُولُ
فَقَالَ نَصِيحٌ مِّنَ الْقَوْمِ لِي وَقَدْ كَادَ يَقْضِي عَلَيَّ الْعَلِيلُ

(1) انظر أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم (ص: 15).

تَرَفَّقْ بِدَمْعِكَ لَا تُفْنِهِ فَبَيْنَ يَدَيْكَ بُكَاءٌ طَوِيلٌ

فطوبى لمن استفاد فيه علماً وتقى وصلاً
وعصمةً من المعاصي، وازداد فيه خيراً وعملاً صالحاً.

والسعيد من صامه وقامه إيماناً واحتساباً، واتقى
ربه في أقواله وأفعاله، وحاسب نفسه بعد انتهائه، فإن
وجد خيراً حمد الله عليه وإن وجد تقصيراً استغفر الله
وتاب إليه، ثم وداوم على صلاته بعد رمضان وحافظ
على فروضه وسننه.

والشقي من أفطر فيه من غير عذر وانتهك
حرمته، أو صامه ولم يَصُنَّهُ عن الفحشاء والمنكر، أو
صامه وهو عازم على الرجوع إلى المعاصي بعد
انقضائه، يَعُدُّ الأيام والليالي استثقلاً له وفرحاً
بانقضائه، فهؤلاء صيامهم عليهم مردود، وباب الرحمة
في وجوههم مسدود.

وعلينا أن نسأل أنفسنا، ماذا بعد رمضان؟

هل سنواصل ونستمر أو نتوقف وننقطع عن

السَّير؟

فمن كان جوابه بنعم فليحمد الله على ذلك
وليسأله الثبات إلى الممات، وليستبشر بحسن الثواب،
فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ومن كان
جوابه بلا فلا يلومن إلا نفسه.

وفي الحديث القدسي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه
عن النبي صلَّى الله عليه وآله فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال:
«يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ
إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ
ذَلِكَ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في الأدب (ص: 172 رقم: 490)، ومسلم
(4/1994 رقم: 2577)، وابن حبان (2/385 رقم: 619)،
والحاكم (4/269 رقم: 7606).

وشتان بين من يقول⁽¹⁾:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَقَدْ بَدَا لِي هَلَالُ الْفِطْرِ مِنْ تَحْتِ الْغَمَامِ
سَنَسْكُرُ سَكْرَةً سُنْعَاءَ جَهْرًا وَنَنْعُرُ فِي قَفَا شَهْرِ الصِّيَامِ
وبين من يقول⁽²⁾:

قَدْ تَعَدُّوا عَلَى الصِّيَامِ وَقَالُوا حَرَّمَ الْعَبَثَ فِيهِ حَبْسُ الْعَوَائِدِ
كَذَبُوا فَالصِّيَامِ لِلْمَرْءِ مَهْمَا يُطَاوِلُ يَوْمُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ
مَوْقِفٌ بِالنَّهَارِ غَيْرُ مُرِيبٍ وَاجْتِمَاعٌ بِاللَّيْلِ عِنْدَ الْمَسَاجِدِ
أو يقول⁽³⁾:

أَنَا يَا شَهْرَنَا الْكَرِيمَ وَفِيَّ أَنَا بَاقٍ عَلَى هَوَى رَمَضَانَ
إِنَّ أَيَّامَكَ الثَّلَاثِينَ تَمْضِي كَلَّذِيذِ الْأَحْلَامِ لِلْوَسْنَانِ

(1) انظر ديوان المعاني (235/2).

(2) انظر اللطائف والظرائف (ص: 299).

(3) انظر نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان (370/3).

وصدق الله إذ يقول: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ

وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ (20) (1).

ويقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ (2).

ويقول: ﴿أَفَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (35) (3).

سلوا الله الثبات على الدين والطاعة.

يدعو القرآن الكريم المؤمنين إلى الثبات على

الإسلام والاستقامة على الإيمان، كما قال تعالى:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾ (102) (4).

(1) سورة الحشر: 20.

(2) سورة فصلت: 34.

(3) سورة القلم: 35.

(4) سورة آل عمران: 102.

وكذلك كان الأنبياء يدعون أتباعهم إلى الثبات
والاستقامة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْصِي بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ بِصَاطِفِي لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ (1).

ومن دعاء الأنبياء قول إبراهيم وإسماعيل عليهما
السلام: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً
لَكَ ﴾ (2).

قال سلام بن أبي مُطِيعٍ: «كَانَا مُسْلِمِينَ وَلَكِنَّهُمَا
سَأَلَاهُ الثَّبَاتَ» (3).

ومن دعاء النبي ﷺ ما جاء عن شَدَادِ بْنِ
أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ:

(1) سورة البقرة: 132.

(2) سورة البقرة: 128.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (1/234 رقم: 1243).

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى
الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ،
وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ
مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا
تَعْلَمُ»⁽¹⁾.

ومن دعاء المؤمنين ما أخبر عنهم القرآن فقال
عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ﴾⁽²⁾.

(1) حسن لغيره. أخرجه أحمد (356/23 رقم: 17133)، والترمذي
(476/5 رقم: 3407)، والنسائي (54/3 رقم: 1304)، وابن
حبان (310/5 رقم: 1974)، والحاكم (688/1 رقم: 1872)
وصححه ووافقه الذهبي، والحديث فيه مقال، ولكنه يتقوى
بطرقه وشواهده.
(2) سورة آل عمران: 8.

الاستمرار على الطاعات بعد رمضان.

كل صائم يرجو من ربه أن يقبل منه عمله ويكفر عنه خطيئته، ويخرج من رمضان نقيًا من الذنوب كيوم ولدته أمه، كما أخبر بذلك النبي ﷺ في قوله: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽¹⁾.

والمغفرة إنما تكون للتائبين المنيبين إلى ربهم، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتزموا دينهم وثبتوا على الاستقامة.

قال الله تعالى: ﴿وَلِيَّ لَغْفَارٍ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾⁽²⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (439/1 رقم: 2014)، ومسلم (524/1 رقم: 760).
(2) سورة طه: 82.

ثم اهتدى بأن ثبت على توبته، واستمر في طاعة ربه حتى مات على ذلك ولقي ربه وهو عنه راضٍ.

قال أبو الليث السمرقندي: «الثبات على التوبة أشدّ من التوبة»⁽¹⁾.

وشأن المؤمن أن يستمر على العبادة ويواصل في الطاعة بعد رمضان، ويغتني جميع الأوقات في زيادة عمل الخير، فأوقاته وحركاته وحياته ومماته كلها مسخرة لطاعة الله، كما قال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾.

ومن داوم على عبادة الله غفر الله له ما تقدم من ذنوبه، ولا نعمة أعظم من رضا الله عن عبده ومغفرته

(1) تنبيه الغافلين (ص: 120).

(2) سورة الأنعام: 162.

لذُنُوبِهِ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (72) (1)، وأما من انقطع عن السير في طريق الحق، وترك العمل الصالح واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وآثر الفاني على الباقي، فإنّه حرم نفسه من حلاوة العبادة، ومن العفو والغفران من الرحيم الرحمن، واستحق البُعدَ والمقت الشديد من الله سبحانه، وذلك هو الخسران المبين.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ» (2).

(1) سورة التوبة: 72.

(2) حسن. أخرجه الطبراني في الأوسط (46/7 رقم: 6806)؛ وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (4/53 رقم: 4775)، والهيثمي في مجمع الزوائد (10/334).

خير الناس من طال عمره وحسن عمله .

خير الناس من أفنى عمره في عبادة الله، وشر الناس من أطاع الشيطان وهواه في معصية الله.

فعن عبد الله بن بُسرٍ رضي الله عنه قال: «جاءَ أَعْرَابِيَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ.

وَقَالَ الْآخَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَمَّتْ بِهِ.

فَقَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»⁽¹⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (226/29 رقم: 17680)، والترمذي (565/4 رقم: 2329) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (1246/2 رقم: 3793)، وابن أبي شيبة (58/6 رقم: 29453)، وابن حبان (96/3 رقم: 814)، والحاكم (672/1 رقم: 1822) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (519/3 رقم: 6526).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ.
قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ
عَمَلُهُ»⁽¹⁾.

فمن طال عمره وحسن عمله وكثرت طاعاته
واتسع علمه فليفرح وليغتبط بذلك، وليحمد الله على
توفيقه.

(1) حسن. أخرجه أحمد (58/34 رقم: 20415)، الترمذي (566/4) رقم: 2330) وقال: «حسن صحيح»، والدارمي (1802/3) رقم: 2784)، والحاكم (489/1 رقم: 1256) وصححه، والبيهقي (519/3 رقم: 6625)، والطبراني في الأوسط (327/5) رقم: 5449)، وفي الصغير (81/2 رقم: 818)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (203/10): «إسناده جيد»، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (126/4 رقم: 5091).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَلِيٍّ
مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله، وَاسْتَشْهَدَا أَحَدُهُمَا
وَأُخِرَ الْآخَرُ سَنَةً.

قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ
فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ
فَأَصْبَحْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله: أَلَيْسَ قَدْ صَامَ
بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا
رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ»⁽¹⁾.

(1) حسن. أخرجه أحمد (126/14 رقم: 8399).

وأخرجه أحمد (13/3 رقم: 1390)، وابن ماجه (2/1293 رقم:
3925)، وابن حبان (7/251 رقم: 2982)، والبيهقي (3/520 رقم:
6530)، كلهم عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بلفظ أطول منه.
وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (1/149 رقم: 548)،
والهيثمي في مجمع الزوائد (10/204).

الانحراف بعد رمضان.

نشاهد الكثير من الناس بعد انقضاء شهر رمضان يعودون إلى ما كانوا عليه، وينحرفون عن مسار الطريق الذي رسموه لأنفسهم خلال شهر الصيام، فمنهم من يترك الصلاة ويهجر المساجد، ومنهم من يعود إلى الانهماك في الشهوات والملذات، ومنهم من يفضل الرضوخ إلى التكاسل والتغافل عن فعل الخيرات.

قال الله تعالى: ﴿فَلَفَّ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (1).

وكان الذي كانوا يعبدونه ويخشونه في رمضان لا وجود له بعد رمضان، وما أشبه هذا المشهد بمشهد يوم أحدٍ حينما ظنَّ بعض المنافقين أنَّ النبي ﷺ قد

(1) سورة مريم: 59.

قُتِلَ فارتدوا على أعقابهم ورجعوا عن دينهم، وأنزل
الله سبحانه في حقهم قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿ وَمَا
مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (1)

وهؤلاء المنقلبون لا يضرّون إلا أنفسهم،
وسيجزي الله بالحسنى الشاكرين الذين ثبتوا على
دينهم، لإيمانهم وطاعتهم وصبرهم، ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (2).

ومصير المنحرف الإفلاس في الدين والحرمان
من كلّ خير، لأنه يأكل حسناته بسيئاته كما تأكل النار
الحطب، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (3).

(1) سورة آل عمران: 144.

(2) سورة الإسراء: 15.

(3) سورة طه: 111.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال:

«تَذْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ؛ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»⁽¹⁾.

ويومئذ يعرض الظالم لنفسه على يديه نادما

متحسرا ويقول: ﴿يَلَيْتَنِى قَدَمْتُ لِلْحَيَاتِى﴾⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد (399/13 رقم: 8029)، ومسلم (4/1997 رقم:

2581)، والترمذي (4/613 رقم: 2418)، وابن حبان (10/259

رقم: 4411).

(2) سورة الفجر: 24.

وقد قيل لبِشْرِ الحَافِي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ قَوْمًا
يَجْتَهِدُونَ وَيَتَعَبُدُونَ فِي رَمَضَانَ.

فَقَالَ: بِئْسَ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ إِلَّا فِي
رَمَضَانَ، إِنَّ الصَّالِحَ يَجْتَهِدُ وَيَتَعَبَدُ السَّنَةَ كُلَّهَا»⁽¹⁾.

وَسُئِلَ الشَّيْبَلِيُّ: «أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، رَجَبٌ أَوْ شَعْبَانُ؟
فَقَالَ: كُنْ رَبَّانِيًّا وَلَا تَكُنْ شَعْبَانِيًّا»⁽²⁾.

وقال أبو الرِّبِيعِ الأَعْرَجُ العَابِدُ: «قُلْتُ لِدَاوُدَ
الطَّائِي: أَوْصِنِي، قَالَ: صُمِ الدُّنْيَا، وَاجْعَلْ فِطْرَكَ
المَوْتَ»⁽³⁾.

(1) انظر لطائف المعارف (ص: 222).

(2) انظر لطائف المعارف (ص: 222).

(3) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (342/7)، والخطيب
البغدادي في الزهد والرقائق (ص: 129 رقم: 110)، والترمذي
(613/4 رقم: 2418)، وابن حبان (259/10 رقم: 4411).

وعلق عليه ابن رجب فقال: «الدنيا كلها شهر صيام المتقين، يصومون فيه عن الشهوات المحرمات، فإذا جاءهم الموت فقد انقضى شهر صيامهم واستهلوا عيد فطرهم.

وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَاتِ دَهْرِي كُلِّهَا وَيَوْمُ لِقَائِكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

من صام اليوم عن شهواته، أفطر عليها بعد مماته، ومن تعجل ما حرّم عليه قبل وفاته، عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾⁽¹⁾، الآية⁽²⁾.

حسن الخاتمة.

يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۖ﴾⁽³⁾

(1) سورة الأحقاف: 20.

(2) لطائف المعارف (ص: 491).

(3) سورة آل عمران: 102.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيرها: «وَحَقُّ
تَقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ
يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ»⁽¹⁾.

وعلى المسلم ألا يغتر بعمله، بل يسأل الله تعالى
دَوْمًا حسن الخاتمة، وأن يثبتته على الصراط المستقيم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله
صلَّى الله عليه وآله: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ.

فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

(1) صحيح. رواه ابن أبي شيبة (106/7 رقم: 34553)، والحاكم
(323/2 رقم: 3159) وصححه ووافقه الذهبي، وابن المبارك
في الزهد (ص: 8 رقم: 22)، والطبراني في الكبير (92/9 رقم:
8501)، والطبري في التفسير (65/7 رقم: 7536 - 7543)، وقال
الحافظ ابن كثير في تفسيره (87/2): «وهذا إسناد صحيح
موقوف».

قَالَ: يُوقِّفُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ»⁽¹⁾.

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يستحبون أن يموتوا عقب عمل صالح، من صوم رمضان، أو رجوع من حج، أو سجود، أو شهادة في سبيل الله.

قال خيثمة بن عبد الرحمن: «كَانَ يُعْجِبُهُمْ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ عِنْدَ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ، إِمَّا حَجًّا، وَإِمَّا عُمْرَةً، وَإِمَّا غَزْوَةً، وَإِمَّا صِيَامَ رَمَضَانَ»⁽²⁾.

ولما ترجم الحافظ ابن حجر للقاضي محب الدين بن أبي الحسن البكري المصري وقد مات بعد أداء الحج قال: «وقد غبطته بما اتفق له من حسن

(1) صحيح. أخرجه أحمد (93/19 رقم: 12036)، الترمذي (450/4 رقم: 2142) وقال: «حسن صحيح»، وابن حبان (53/2 رقم 341)، والحاكم (490/1 رقم: 1257) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط (266/2 رقم: 1941).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (126/2).

الخاتمة بالحج والمجاورة وزيارة الحضرة الشريفة النبوية، والموت عقب ذلك في الغربة»⁽¹⁾.

فينبغي للمؤمن أن يكون دائم الصلة مع الله تعالى، في المنشط والمكروه، والشدة والرخاء، لا يفتر عن ذكره وحمده وشكره، ولا ينقطع عن عبادته، ولا يتوانى لحظة من ليل أو من نهار عن أداء واجباته، ولا يضيع فرصة أتاحت له في فعل الخيرات، حتى يلقى الله بقلب سليم مُبْرَأً مِنَ الشَّرِكِ مُطَهَّرٍ مِنَ الإِثْمِ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»⁽²⁾.

(1) إنباء الغمر بأبناء العمر (147/4).

(2) أخرجه أحمد (197/16 رقم: 10286)، ومسلم (2042/4 رقم: 2651).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال النبي صلوات الله عليه: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»⁽¹⁾.

يقول عبد الحق الإشبيلي: «واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلاح باطنه، وإتّما يكون ذلك لمن كان له فساد في العقل، وإصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربّما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التّوبة، ويشب عليه قبل الإنابة، ويأخذه قبل إصلاح الطّويّة، فيصطلمه الشّيطان عند تلك الصّدمة، ويختطفه عند تلك الدّهشة، والعياذ بالله»⁽²⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري واللفظ له (3/244 رقم: 6493)،
ومسلم (1/106 رقم: 112).

(2) العاقبة في ذكر الموت (ص: 180).

أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ حَسْنَ الْخَاتِمَةِ وَصَلَاحَ الْعَاقِبَةِ، وَالْفَوْزَ بِالسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا وَخَيْرَ أَيَامِنَا يَوْمَ لِقَائِهِ.

أسباب الثبات على الحق.

الثبات على الحق هو مواصلة السير في طريق الآخرة، وحمل النفس على الأعمال الصالحة التي تجلب له رضا المولى سبحانه.

قال محمد بن الفضل رحمته الله: «أَصْلُ الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ دَوَامُ الْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»⁽¹⁾.

وعلى العبد أن يوطن نفسه على الثبات على الحق والدوام على الاستقامة، وعليه أن يعتني باتخاذ الأسباب اللازمة لثباته، وسنشير إلى أهم هذه الأسباب فيما يلي:

(1) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية (ص:

1. الدعاء بالثبات على الدين.

ينبغي على المسلم أن يستعين بربه ويسأله العون على الهداية والاستقامة، ويكثر من الدعاء بالثبات.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»⁽¹⁾.

وفي دعاء إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام قالوا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾⁽²⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (160/19 رقم: 12107)، والترمذي (448/4 رقم: 2140) وحسنه، وابن أبي شيبة (168/6 رقم: 30405)، والحاكم (707/1 رقم: 1927).

(2) سورة البقرة: 128.

قال سَلَامٌ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ البَصْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَلَكِنَّهُمَا سَأَلَاهُ الثَّبَاتَ»⁽¹⁾.

ويوسف الصديق عليه السلام ربّه وسأله الثبات على الإسلام وأن يتوفاه مسلماً ويلحقه بعباد الصالحين في جنات النعيم إذ قال: ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوَفِّيهِ مُسْلِمًا وَالْحَقِيصَةَ بِالصَّالِحِينَ﴾⁽²⁾.

ومن دعاء المؤمنين ما جاء في الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽³⁾.

2. المحافظة على الصلاة.

لأن الصلاة هي الصّلة التي تربط العبد برّبّه وتقربه منه، فإذا حافظ عليها كان دائم الصّلة به، وأمّا

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (1/234 رقم: 1243).

(2) سورة يوسف: 101.

(3) سورة آل عمران: 8.

إذا تركها فلا وصلة له، لأنه منقطع عن الله، ومن انقطع عن الله هلك وخسر خسارة عظيمة لا تجبر إلا بالعودة إلى الله تعالى، والضراعة إليه، والتذلل والانكسار بين يديه.

قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (14) (1).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (122) (2).

والصلاة كفيلة بأن تحفظ الإنسان من الانحراف، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ

(1) سورة طه: 14.

(2) سورة الأنعام: 122.

تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ ﴿45﴾ (1).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلانا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق قال: «إنه سيئهاه ما تقول» (2).

وفي المحافظة على الصلوات الخمس
والمداومة عليها برهان على إيمان صاحبها ونجاة له
وسعادة، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى
صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿23﴾ (3).

(1) سورة العنكبوت: 45.

(2) صحيح. أخرجه أحمد (483/15 رقم: 9778)، وابن حبان

(300/6 رقم: 2560)، والبزار (130/16 رقم: 9217)؛ والبيهقي

في شعب الإيمان (4/545 رقم: 2991).

(3) سورة المعارج: 22 - 23.

وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْضُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»⁽¹⁾.

3. المحافظة على صلاة الجماعة.

صلاة الجماعة تحفظ الإنسان من الانحراف، وتحميه من الشيطان، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تَقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحَوَذَ عَلَيْهِمْ

(1) حسن. أخرجه مالك بلاغا (ص: 36 رقم: 66)، ووصله أحمد (95/37 رقم: 22414)، وابن ماجه (101/1 رقم: 277)، والدارمي (519/1 رقم: 681)؛ وابن حبان (311/3 رقم: 1037).

الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّبْ
القَاصِيَةَ»⁽¹⁾.

أي أن من كان بعيدا عن جماعة المسلمين ولا
يقيم معهم الصلاة، استحوذ عليه الشيطان وتسلط
عليه، كما يفعل الذبب بالشاة المنفردة عن القطيع
البعيدة عن الراعي، ومن استحوذ عليه الشيطان أضلّه
وحوال بينه وبين الله تعالى، وجعل همّه دنياه ونهيمته
شهوات نفسه، كما قال تعالى: ﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾⁽²⁾.

(1) حسن. أخرجه أحمد (42/36 رقم: 21710)، وأبو داود (150/1)
رقم: 547)، والنسائي (106/2 رقم: 847)، وابن حبان (457/5)
رقم: 2101)، وابن خزيمة (371/2 رقم: 1486)، والحاكم
(374/1 رقم: 900) وصححه وأقره الذهبي، والبيهقي (77/3)
رقم: 4929)؛ وحسنه النووي في رياض الصالحين (ص:
305).

(2) سورة المجادلة: 19.

وإذا تعوّد المسلم على ارتياد المسجد وعمارته،
 دلّ ذلك على إيمانه واستقامته، وهو ما أوضحه
 حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: قال رسول الله
 ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ
 بِالْإِيمَانِ» فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ
 مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
 الزَّكَاةَ﴾ ⁽¹⁾ الآية ⁽²⁾.

وعن عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ
 يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ

(1) سورة التوبة: 18.

(2) حسن لغيره. أخرجه أحمد (18/251 رقم: 11725)، والترمذي (12/5 رقم: 2617) وقال: «هذا حديث غريب حسن»، وابن ماجه (1/263 رقم: 802)، وابن خزيمة (2/379 رقم: 1502)، وابن حبان (5/6 رقم: 1721)، والحاكم (1/332 رقم: 770) وصححه.

حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»⁽¹⁾.

وعن عبد الرحمن بن مَعْقِلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْمَسْجِدُ حِصْنٌ مِنَ الشَّيْطَانِ شَدِيدٌ»⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد (50/7 رقم: 3936)، ومسلم (453/1 رقم: 654)،

وابن ماجه (255/1 رقم: 777).

(2) أخرجه أحمد في الزهد (ص: 298 رقم: 2152)، وهناد في

الزهد (473/2).

4. الحرص على تلاوة القرآن.

يُقال: «حُصُونُ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثَةٌ: الْمَسْجِدُ، وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ»⁽¹⁾.

قراءة القرآن بتدبر وتفهم تجعل المسلم محفوظاً من الغفلات، متحرّزاً من السيئات، مترقيّاً في درجات الكمالات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾⁽²⁾.

يقول ابن الجوزي في مواعظه: «تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ تَعْمَلُ فِي أَمْرَاضِ الْفُؤَادِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَسَلُ فِي عِلَلِ الْأَجْسَادِ، مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ لِأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ شَافِيَةٌ، وَأَدَلَّةُ الْقُرْآنِ لِطَلَبِ الْهُدَى كَافِيَةٌ، أَيْنَ السَّالِكُونَ طَرِيقَ

(1) انظر تنبيه الغافلين (ص: 304).

(2) سورة الإسراء: 9.

السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ؟ مَا لِي أَرَى السُّبُلَ مِنَ الْقَوْمِ
عَافِيَةً» (1).

ومن داوم على قراءة القرآن الكريم كان في حرز
من الشيطان الرجيم، يحفظه الله من وساوسه وغوائله،
ويصرف عنه شرّه ومكائده.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ 98 ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 99 ﴾ (2).

5. المواظبة على ذكر الله تعالى.

لأن في ذكر الله تعالى حياة القلوب، كما قال
تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ 28 ﴾ (3).

(1) التبصرة (79/1).

(2) سورة النحل: 98 - 99.

(3) سورة الرعد: 28.

وفي ذكر الله النجاة، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا

اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (1).

وفي ذكر الله الحماية من الشيطان الرجيم والمنعة

منه، كما قال تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (200) **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ**

طَافِقٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (2).

6. اختيار الرفقة الصالحة.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلی الله علیه و آله

قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ،

كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ

يُخْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً،

(1) سورة الأنفال: 45.

(2) سورة الأعراف: 200 . 201.

وَنَافِخُ الْكَيْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا
خَبِيثَةً»⁽¹⁾.

في الحديث بيان لأهمية الجليس، أي الصّاحب،
وقد شبّهه بحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك
إمّا أن تشتري من عطره، أو يهدي لك منه، أو تشم من
رائحته الزكيّة، وكذلك الصّاحب الصّالح إذا عاشرته،
فإنّك تستفيد من علمه وخلقه ونصيحته ومعروفه،
والحدّاد إذا نفخ كيره واقتربت منه، إمّا أن تتطاير
شظايا النّار إليك فتحرق ثوبك، أو يؤذيك برائحته
الكريهة، وكذلك الصّاحب السّوء، يؤذيك بشرّه ويفسد
عليك دينك ودنياك.

قال النووي: «فيه فضيلة مجالسة الصّالحين
وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (459/1 رقم: 2101)، ومسلم
(96/7 رقم: 5534).

والأدب، والنّهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع
ومن يغباب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك
من الأنواع المذمومة»⁽¹⁾.

والإنسان ينطبع بطباع صاحبه، ويتأثر بطريقته
وسيرته، ويأخذ من خُلُقِهِ وعاداته، ولذا عليه أن يختار
الصّاحب الصّالح الذي يعينه على التمسك بدينه،
فَيَذَكِّرُهُ إذا نسي، ويُعِينُهُ إذا ذكر، وَيَحْذِرُ من الصّاحب
السّوء الذي يدعو إلى المعصية ويزينها له، ويشوّش
قلبه بالشّبهات ويملؤه بحب الشّهوات، ويصدّه عن
عبادة ربه، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال:
«الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»⁽²⁾.

(1) شرح صحيح مسلم (178/16).

(2) حسن. أخرجه أحمد (13/398 رقم: 8028)، أبو داود (4/259
رقم: 4833)، والترمذي (4/589 رقم: 2378)، وصححه
النووي في رياض الصالحين (ص: 121).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»⁽¹⁾.

واعلم أنّ أهل المعاصي هم شياطين الإنس الذين لا يفترون عن الوسوسة والصدّ عن الصراط المستقيم، كما أخبر عنهم القرآن في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا﴾⁽²⁾.

فتعوّذ منهم واهجرهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ مِنْ

(1) حسن. أخرجه أحمد (437/17 رقم: 11337)، وأبو داود (259/4 رقم: 4832)، والترمذي (600/4 رقم: 2395) وقال: حسن، والدارمي (140/2 رقم: 2057)، وابن حبان (314/2 رقم: 554)، والحاكم (143/4 رقم: 7169) وصححه. وقال النووي في رياض الصالحين (ص: 121): «بإسناد لا بأس به».

(2) سورة الأنعام: 112.

شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴿١﴾ .

فمن قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ﴾: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ شَيَاطِينَ، وَمِنَ الْجِنِّ
شَيَاطِينَ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ» ﴿٢﴾ .

وقال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هُمَا شَيْطَانَانِ،
أَمَّا شَيْطَانُ الْجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَأَمَّا
شَيْطَانُ الْإِنْسِ فَيَأْتِي عَلَانِيَةً» ﴿٣﴾ .

وشيطان الإنس أضرّ عليك وأخطر من شيطان
الجن، لأنّ شيطان الجن نستعيد بالله منه فيخنس

(1) سورة الناس.

(2) رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (478/3 رقم: 3749).

(3) انظر تفسير السمرقندي بحر العلوم (639/3)، والجامع لأحكام
القرآن (263/20).

ويصغر حتى يختفي، أما شيطان الإنس فيلزمك ولا يبرح حتى يوقعك في المعصية.

قال مالك بن دينار رحمته الله: «إِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، وَذَلِكَ أَنِّي إِذَا تَعَوَّدْتُ بِاللَّهِ ذَهَبَ عَنِّي شَيَاطِينُ الْجِنِّ، وَشَيْطَانُ الْإِنْسِ يَجِيئُنِي فَيَجْرُنِي إِلَى الْمَعَاصِي عَيْنًا»⁽¹⁾.

وأنت يوم القيامة مع من تحب وتصاحب، فانظر أي الفريقين تختار.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلواته على منتهى ما يحب: «لَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ»⁽²⁾.

واستمع إلى هذه الآيات وهي تحكي تخاصم أهل النار: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾⁽²²⁾

(1) انظر تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن (153/2).
(2) صحيح. أخرجه الطبراني في الأوسط (293/6) رقم: (6450)، والصغير (114/2) رقم: (874)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (15/4) رقم: (4600): «بإسناد جيد».

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفُوهُمْ إِتْمَهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾
 مَا لَكُمْ لَا نَنْصُرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَيْوَمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
 يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا
 مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾
 فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَبْنَاكُمْ؛ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنهَمُ
 يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكْ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَمُ
 كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿١﴾

دعاء.

اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، ونسألك الثبات
على طاعتك، والتوفيق لمرضاتك.

اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور.

اللهم طهر قلوبنا بماء التوبة واغسلها من دنس
الحوبة وامتعنا بالسلامة في ديننا ودياننا ما أبقيتنا ولا
تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا

(1) سورة الصافات: 22 . 35.

فهرس الموضوعات

3 مقدمة
5 عنوان الدررر روءرع رمضان
5 تمهيد
7 هل قُبِلَ منا الصيام؟
12 هل انتفعنا بالصيام؟
14 هل انتفعنا بالتوبة؟
18 هل انتفعنا بالقرآن؟
22 هل انتفعنا بالصلاة؟
23 هل انتفعنا بما سمعنا من مواعظ؟
24 خاتمة
25 دعاء

- 26 عنوان الدرس علامات قبول الصيام
- 26 تمهيد
- 27 ليس كل من عمل حسنة تُقبل منه
- 31 السعيد من تقبل الله منه الصيام
- 35 من علامات قبول الصيام
- 39 عمل قليل مقبول خير من عمل كثير مردود
- 44 خوف السلف من عدم قبول الطاعات
- 50 شروط قبول العمل
- 52 خاتمة
- 53 دعاء
- 54 عنوان الدرس ماذا بعد رمضان؟
- 54 تمهيد
- 58 سلوا الله الثبات على الدين والطاعة

61 الاستمرار على الطاعات بعد رمضان
64 خير الناس من طال عمره وحسن عمله
67 الانحراف بعد رمضان
71 حسن الخاتمة
76 أسباب الثبات على الحق
77	1. الدعاء بالثبات على الدين
78	2. المحافظة على الصلاة
81	3. المحافظة على صلاة الجماعة
85	4. الحرص على تلاوة القرآن
86	5. المواظبة على ذكر الله تعالى
87	6. اختيار الرفقة الصالحة
93 دعاء
94 فهرس الموضوعات